كشف الكرب

وإزالة الهم والغم

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٦م

دار الحسن للنشر والتوزيع

هاتف ٦٤٨٩٧٥ ـ فاكس ٦٤٨٩٧٥ ـ ص.ب ١٨٢٧٤٢
عمان ١١١١٨ ـ الأردن

كشف الكرب
وإزالة الهم والغم

بقلم
محمد شومان الرملي

دار الحسن
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً .

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوزاً عَظِيماً﴾.

أما بعد؛ فإنه ما من أحد إلا وهو عرضة لمصيبة أو مرض أو شِدَّة، أو أيّ كُربةٍ وبَلِيَّة من البلايا والكُرَب، وذلك يسبب له همّاً وغمّاً وحُزناً؛ بحسب تلك البَلِيَّة، وعلى قدر تلك الرَّزِيَّة، وهذه الثلاثة (أعني: الهَمّ والغَمّ والحُزن) من أعظم أمراض القلب وأدوائه.

«وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلاص منها، وتباينت طرقهم في ذلك تبايناً لا يحصيه إلا الله، بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم أنه يخلصه منها، وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدها إلا شدة، كمن يتداوى منها بالمعاصي على اختلافها؛ من أكبر كبائرها إلى أصغرها، وكمن يتداوى منها باللهو واللعب والغناء وسماع الأصوات المطربة، وغير ذلك[1]، فأكثر سعي

(١) كالتدخين، وتناول المخدرات، والمسكرات، وتضييع =

بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الأمور والتخلص منها، وكلهم قد أخطأ الطريق إلا من سعى في إزالتها»[1] بالأدوية الربانية، وعلى رأسها «الأذكار والدعوات».

ورغبة مني في إدخال السرور على قلوب المؤمنين، والمشاركة في تفريج همومهم، وتنفيس كروبهم؛ رأيت أن أقدم إليهم هذا الكتاب:

كشف الكرب وإزالة الهم والغم

وهو مع صغر حجمه كثير الفوائد، وقد حوى عامة الأذكار والدعوات؛ المتعلقة بكشف الشدائد والكُرُبات، والمختصة بدفع الغم، ورفع الحزن والهم.

وقد جعلته ثلاثة أقسام:

= الوقت والدين في النظر إلى ما يعرضه التلفاز؛ من ملوثات الفطرة، ومفسدات الأخلاق.

(١) «شفاء العليل» (ص ٢٧٤).

* **القسم الأول:**

سردت فيه الأذكار والدعوات؛ مرتبةً مرقمةً مخرجة، ووضعت لها شرحاً بديعاً؛ مبيناً غريب ألفاظها، منبهاً على فوائد مهمة تتعلق بها، وألحقت بهذه الدعوات ـ مما يذهب الهم والغم ـ الصلاة وتلاوة القرآن العظيم.

* **القسم الثاني:**

ذكرت فيه أموراً مهمة تتعلق بالذكر والدعاء.

أولها: ذكر الله أعظم أسباب النجاة من مخاوف الدنيا والآخرة.

الثاني: الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل.

الثالث: الدعاء ينفع المسلم وإن لم ينل مطلوبه.

الرابع: كل ما يصيب المسلم من الهم والغم يكفر الله به من خطاياه.

الخامس: الدعاء أكرم شيء على الله عز وجل.

السادس: ضرورة حضور القلب في الذكر والدعاء.

السابع: ماذا يفعل من يحب أن يستجيب الله تعالى له في الشدائد والكُرَب؟

الثامن: أفضل دعوة يدعوها العبد.

التاسع: دعاء من أجمع أدعية النبي ﷺ.

العاشر: لا كاشف للسوء إلا الله تعالى.

الحادي عشر: ماذا ينبغي لمن كشف الله تعالى كَرْبَه؟

*** القسم الثالث:**

ذكرت فيه أعظم الأمور المذهبة للهم والغم - غير الذكر والدعاء -؛ فذكرت الإيمان، والعمل الصالح، واليقين، والتوكل، وصدق التوجه إلى الله تعالى والإنابة إليه، وذكر الموت والبِلى، والزهد في الدنيا، والتوبة والاستغفار، والجهاد في سبيل الله، وغيرها، كل ذلك

بأدلته من الكتاب والسنة الصحيحة.

والله الرحيم أسأل أن ينفعني وإخواني بهذا الكتاب، وأن يُفَرِّج كَربَنا، ويُذهِب همَّنا وغمَّنا، ويُبدِلَنا مكان ذلك فَرَجاً وفَرَحاً، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وكتب

محمد شومان

١٢ جمادى الثانية ١٤١١هـ

٢٩ كانون أول ١٩٩٠م

❋ ❋ ❋

القسم الأول

في الأذكار والدعوات المتعلقة بالكرب والهم والغم والحزن

الأذكار والدعوات
المتعلقة بالكرب والهم والغم والحزن

١ ـ «دعاء الكرب[١]»: عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب:

«لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَـرْشِ العَـظِيمِ، لا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَـاوَاتِ [السَّبْعِ] وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»[٢].

---

(١) (الكرب): هو ما يدهم المرء مما يأخذ بنفسه؛ فيغمه ويهمه. «فتح». وقال الراغب في «مفرداته»: «(الكرب): الغم الشديد».

(٢) أخرجه البخاري (١١/١٤٥ و١٣/٤٠٥ و٤١٥ - فتح) ومسلم (٢٧٣٠) والترمذي (٣٤٣٥) وابن ماجه (٣٨٨٣) وأحمد (١/٢٨٨ و٢٥٤ و٣٣٩ و٣٥٦ وغيرها)، والزيادة الأولى لابن ماجه =

وفي رواية: كان إذا حزبه أمر قال:

«لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ العَظِيمُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»، [ثم يدعو].

= وأحمد في بعض رواياته، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٧٢) وزاد في آخره: «اللَّهُمَّ اصْرِفْ عَنِّي شَرَّ فُلانٍ» (قال المناوي في «الفيض»: «ويعيِّنه باسمه؛ فإن له أثراً بيناً في دفع شره»)، وهي في «صحيح الجامع» (رقم ٤٨١٦)، وعند البخاري في «الأدب» (رقم ٧٠٣) بلفظ: «اللَّهُمَّ اصْرِفْ [عَنِّي] شَرَّهُ». وقال الألباني في «صحيح الأدب»: «منكرة»!

والرواية الثانية لمسلم وأحمد (١/٢٦٨ و ٢٨٠) وله الزيادة، وصحح سنده الألباني على شرط مسلم في «الصحيحة» تحت الحديث (رقم ٢٠٤٥). والرواية الثالثة لابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص ١٠)، وصححها الألباني على شرط الشيخين في المصدر المذكور.

وفي رواية: «كَلِمَاتُ الفَرَجِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَلِيُّ العَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ».

(لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى؛ لتفرده بصفات الألوهية؛ وهي صفات الكمال(1).

قال ابن القيم(2): «روح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره؛ بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك؛ من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة؛ فلا يُحَب سواه، وكل ما يُحب غيره فإنما يُحب تبعاً

---

(1) وانظر معنى «لا إله إلا الله» بالتفصيل في كتابي «غراس الجنة»، وتجد هناك ذكر فضلها، وكذا معنى وفضل «سبحان الله» و«الحمد لله» و«الله أكبر» و«لا حول ولا قوة إلا بالله» و«سبحان الله العظيم وبحمده».

(2) «الجواب الكافي» (ص ٢٣٣).

لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يُخاف سواه، ولا يُرجى سواه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُرغب إلا إليه، ولا يُرهب إلا منه، ولا يُحلف إلا باسمه، ولا يُنذر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يُطاع إلا أمره، ولا يُتَحَسَّب إلا به[1]، ولا يُستغاث في الشدائد إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يُسجد إلا له، ولا يُذبح إلا له وباسمه، ويَجتمع ذلك في حرف واحد؛ وهو: أن لا يُعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة».

وقال شيخ الإسلام[2]: «المكروب همته منصرفة إلى دفع ضُره وجَلب نفعه؛ فقد يقول: «لا إله إلا الله» مستشعراً أنه لا يكشف الضر غيرك، ولا يأتي بالنعمة إلا أنت؛ فهذا مستحضِر توحيد الربوبية، ومستحضر توحيد السؤال والطلب، والتوكل عليه، معرض عن توحيد

---

(١) أي: أن لا يقال: حسبي فلان (أي: كافيني)؛ بل «حسبي الله» وحده.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٧٨ - ٢٧٩).

الإلهية الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به؛ وهو أن لا يعبد إلا إياه، ولا يعبده إلا بطاعته وطاعة رسوله؛ فمن استشعر هذا في قوله: «لا إله إلا الله» كان عابداً لله متوكلاً عليه». ا.هـ.

(العظيم): «معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يُعظَّم كما يعظم الله؛ فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، ويعظموا شعائره وحرماته»[1].

(الحليم): «الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان؛ حيث أمهلهم ولم

---

(١) «الحق الواضح المبين» (ص ٢٧ - ٢٨).

يعـاجلهم بالعقـوبة عسى أن يتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم»[1].

(العرش): هو سقف المخلوقات وأكبرها وأوسعها، وفي الحديث:

«ما السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ في الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلقَاةٍ بِأَرضٍ فَلاةٍ، وفَضْـلُ العَـرشِ عَلى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلاةِ عَلى تِلكَ الحَلَقَةِ»[2].

(الكريم)؛ أي: العظيم المجيد.

قال الآلوسي[3]: «وُصِفَ بالكريم لشرفه، وكل ما

---

(١) «شرح القصيدة النونية» للهراس (٢/ ٨٦).

(٢) صححه الألباني بطرقه في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٠٩).

(٣) انظر «روح المعاني» (١٨/ ٧١).

شَرُف في بابه وُصف بالكَرَم، وأعظم شرف له تخصيصه باستواء الله تعالى عليه». ا. هـ.

ومن كان رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم؛ كان رب ما دونها من باب أولى؛ فهو رب الخلق أجمعين.

وتربيته سبحانه لخلقه نوعان ـ كما قال السعدي[1] ـ: «عامة وخاصة:

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه؛ فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ٢٨).

الأنبياء بلفظ الـرب؛ فإن مطالبهم كلهـا داخلة تحت ربوبيته الخاصة».

وقـال الحافظ في «الفتح»[1]: «قال الطيبي صدر هذا الثنـاء بذكـر الـرب ليناسب كشف الكرب؛ لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد؛ وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم؛ إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية».

وقـال ابن القيم[2]: «دعـاء الكـرب مشتمل على توحيد الإلٰهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم، وهـاتـان الصفتـان مستلزمتـان لكمال القدرة والـرحمة، والإحسان والتجاوز، ووصفه بكمال ربوبيته

---

(١) (١١/١٤٦).

(٢) «زاد المعاد» (٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

للعـالم العلوي والسفلي والعـرش الـذي هو سقف المخلوقات وأعظمها. والربوبية التامة تستلزم توحيده، وأنـه الـذي لا تنبغي العبـادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له. وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمـال له، وسلب كل نقص وتمثيل عنـه. وحِلمُه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه.

فعلم القلب ومعرفته بذلك توجب محبته وإجلاله وتـوحيده؛ فيحصـل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسرُّهُ ويُفرحه ويُقَوِّي نفسه؛ كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسِّي، فحصول هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى.

ثم إذا قابلتَ بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التي تضمنهـا دعـاء الكرب؛ وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سَعَة البهجة والسـرور، وهذه الأمور إنما يصدّق بها من أشرقت فيه

أنوارها، وباشر قلبُه حقائقَها».

وقال النووي في هذا الحديث[1]: «هو حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة. قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه «دعاء الكرب»».

* * *

٢ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به هَمٌّ أو غَمٌّ قال:

«يَا حَيُّ! يَا قَيُّومُ! بِرَحمَتِكَ أَستَغِيثُ»[2].

---

(١) «شرح مسلم» (١٧/ ٤٧).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤٦٦٧). وأخرجه الترمذي (٣٥٢٤) وابن السني (٣٣٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه (وعند الترمذي: كَرَبَهُ) أمر قال: «يا حَيُّ! يا قَيُّومُ! بِرَحمَتِكَ أَستَغِيثُ». وحسنه الألباني في «تخريج الكلم» (ص ٧٢). =

«(الحي): الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية التي لا يلحقها موت ولا فناء، والتي تستلزم سائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها.

(القيّوم): القائم بنفسه المستغني عن جميع خلقه؛ فلا يفتقر إلى شيء أصلًا؛ لا في وجوده ولا في بقائه ولا في صفات كماله ولا في أفعاله.

وكل شيء في هذا الوجود مفتقر إليه فقراً ذاتياً أصيلًا لا يمكن أن يستغني عنه في لحظة من اللحظات؛ فهو سبحانه دائم التدبير والرعاية لشؤون خلقه؛ لا يمكن أن يغفل عنهم لحظة؛ وإلا اختل نظام الكون وتحطمت

= ومعنى (حزبه أمر)؛ أي: نزل به مهم أو أصابه غم. «نهاية».

و(الاستغاثة): طلب الغوث، والغوث: الإعانة والنصرة.

و(الاستغاثة) عند النحاة: نداء من يُخَلِّص من شدة أو يعين على دفع بليَّة.

أركانه»[1].

«فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى وبكل صفة من صفاته؛ فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين؛ أن يكونا في مظنة تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإنالة الطلبات»[2].

و(الحيّ القيّوم) هو الاسم الأعظم[3]؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

---

(1) انظر «شرح القصيدة النونية» (٢/ ١١٠).

(2) «بدائع الفوائد» (٢/ ١٨٤).

(3) هذا ما كنت ذهبت إليه فيما مضى؛ معتمداً على لحديث الآتي، مستأنساً بقول شيخ الإسلام وتلميذه رحمهما الله تعالى، ثم الذي أرجحه الآن ـ بعد الدراسة ـ أن الاسم الأعظم هو: «الله»، وقد كتبت في ذلك بحثاً محققاً مفيداً إن شاء الله تعالى (١٤١٦هـ).

«إِنَّ ٱسْمَ اللَّهِ الأَعظَمِ لَفِي ثَلاثِ سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ؛ في سُورَةِ البَقَرَةِ وآلِ عِمْرَانَ وطَهَ»[1].

قال ابن القيم[2]: «وفي تأثير قوله: «يا حي! يا قيوم! برحمتك أستغيث» في دفع هذا الداء مناسبة بديعة؛ فإن صفة الحياة متضمِّنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيُّومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى؛ هو اسم «الحي القيوم»، والحياة التامة تُضادُّ جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كَمُلَت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حَزَن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية؛ فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٦) والحاكم (١/٥٠٦) وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٧٤٦).

(٢) «زاد المعاد» (٤/٢٠٤ - ٢٠٥).

البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يُضادُّ الحياة ويضر بالأفعال».

وقال[1]: «لاسم «الحي القيوم» تأثير خاص في إجابة الدعوات وكشف الكُرُبات».

* * *

٣ ـ عن ثوبان رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ كان إذا راعه[2] شيء قال:

«اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ»[3].

* * *

---

(١) «زاد المعاد»: (٤/٢٠٥).

(٢) أي: أفزعه.

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٥٧)، وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٣٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤٦١٤).

٤ ـ وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها؛ قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ (أو: في الكَرْبِ)؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً**»[1].

وفي لفظ[2]: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً**».

وفي لفظ آخر[3]: سمعت رسول الله ﷺ بأُذُنَيَّ هاتين يقول:

«**مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَو غَمٌّ أَو سَقَمٌ[4] أَو شِدَّةٌ فَقَالَ: اللَّهُ**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٥) وابن ماجه (٣٨٨٢) وغيرهما، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٢٦٢٠).

(٢) عند الطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٣٦٣).

(٣) عند الطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٣٩٦) من طريق آخر، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٩١٦).

(٤) أي: مرض.

رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ؛ كُشِفَ[1] ذَلِكَ عَنهُ».

قال المناوي[2]: «هذه أمور مظلمة تورد على القلب سحائب متراكمات مظلمة، فإذا فَرَّ إلى ربه، وسلم أمره إليه، وألقى نفسه بين يديه؛ من غير شركة أحد من الخلق؛ كشف عنه ذلك، فأما من قال ذلك بقلب غافل لاهٍ؛ فهيهات».

***

٥ - وعن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ هَمٌّ أَو لَأْوَاءُ[3]؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيئاً»[4].

---

(١) أي: رُفِعَ وَأُزِيلَ.

(٢) «فيض القدير» (٦/٦٦).

(٣) شدة وضيق معيشة.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط»؛ كما قال الهيثمي في =

قال المناوي[1]: «(الله الله)؛ كرره استلذاذاً بذكره واستحضاراً لعظمته وتأكيداً للتوحيد؛ فإنه الاسم الجامع لجميع الصفات الجلالية والجمالية والكمالية. (ربي)؛ أي: المحسن إلي بإيجادي من العدم، وتوفيقي لتوحيده وذكره، والمربي لي بجلائل نعمه، والمالك الحقيقي لشأني كله. ثم أفصح بالتوحيد وصرح بذكره المجيد؛ فقال: (لا أشرك به شيئاً)، وفي رواية: (لا شريك له)؛ أي: في كماله وجلاله وجماله، وما يجب له وما يستحيل عليه، والمراد أن ذلك يفرج الهم والغم والضنك والضيق؛ إن صدقت النية وخلصت الطوية».

* * *

٦ ــ عن أبي بكرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

= «مجمع الزوائد» (١٠/١٣٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٣٤٥).

(١) «فيض القدير» (١/٢٨٥).

«دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ[1]: **اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرجُو؛ فَلَا تَكِلْنِي إِلى نَفسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأَصْلِحْ لي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ**»[2].

قال العظيم آبادي[3]: (**اللهم رحمتك أرجو**)؛ أي: لا أرجو إلا رحمتك. (**فلا تكلني**)؛ أي: لا تتركني. (**إلى نفسي طرفة عين**)؛ أي: لحظة ولمحة. (**وأصلح لي شأني**)؛ أي: أمري. (**كله**)؛ تأكيد لإفادة العموم.

وقال ابن القيم[4]: «أجمع العارفون بالله على أن الخذلان أن يكلك الله إلى نفسك ويُخَلِّي بينك وبينها،

---

(١) أي: المغموم والمحزون؛ أي: الدعوات النافعة له المزيلة لكربه. «فيض القدير».

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠) وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٣٣٨٢).

(٣) «عون المعبود» (١٣/ ٤٣٤).

(٤) «مدارج السالكين» (١/ ١٨٠).

والتوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك».

قال[1]: «فالعبيد متقلبون بين توفيقه وخذلانه، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا؛ فيطيعه ويُرضيه ويذكره ويشكره بتوفيقه له، ثم يعصيه ويخالفه ويُسْخِطه ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه.

فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقه؛ علم شدة ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كل نَفَس وكل لحظة وطرفة عين، وأن إيمانه وتوحيده بيده تعالى؛ لو تخلى عنه طرفة عين لَثُلَّ عرش توحيده، ولخرَّت سماء إيمانه على الأرض، وأن الممسك له هو من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه».

وقال في «زاد المعاد»[2]: «في قوله: «**اللهم**

---

(١) «المدارج» (١/٤١٣) باختصار.

(٢) (٤/٢٠٦).

رحمتك أرجو؛ **فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**» من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيديه، والاعتماد عليه وحده، وتفويض الأمر إليه، والتضرع إليه أن يتولى إصلاح شأنه، ولا يكله إلى نفسه، والتوسل إليه بتوحيده، مما له تأثير قوي في دفع هذا الداء[1]، وكذلك قوله: «**الله ربي لا أشرك به شيئاً**».

***

٧ ــ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا أَصَابَ أَحَداً قطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ فَقَالَ: **اللَّهُمَ إني عَبدُكَ وابنُ عَبدِكَ وابنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أو عَلَّمتَهُ أَحَداً مِن خَلقِكَ، أو أَنْزَلتَهُ**

(١) يعني: الكرب.

في كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرتَ بِهِ فِي عِلمِ الغَيبِ عِندَكَ؛ أَنْ تَجعَلَ القُرآنَ رَبِيعَ قَلبِي، وَنُورَ صَدرِي، وَجلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً»[1]. قال: فقيل: يا رسول الله! ألا نتعلمها؟ فقال: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَن سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[2].

هذا الحديث فيه - كما قال ابن القيم[3] - «من المعارف الإلهية، وأسرار العبودية ما لا يتسع له كتاب؛ فإنه يتضمن الإعتراف بعبوديته وعبودية آبائه وأمهاته، وأن ناصيته بيده يُصرِّفها كيف يشاء؛ فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؛ لأن من ناصيته بيد غيره؛ فليس إليه شيء من أمره؛ بل هو

---

(١) اللفظ الثاني لأحمد: «وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحاً».

(٢) أخرجه أحمد (٣٧١٢ و٤٣١٨) وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٧٢ - موارد) والحاكم (١/٥٠٩) وغيرهم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٩٩).

(٣) «زاد المعاد» (٤/٢٠٦ - ٢٠٧).

عانٍ[1] في قبضته، ذليل تحت سلطان قهره.

وقوله: **(ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك)** متضمن لأصلين عظيمين عليهما مدار التوحيد.

أحدهما: إثبات القدر، وأن أحكام الربِّ تعالى نافذة في عبده ماضية فيه؛ لا انفكاك له عنها، ولا حيلة له في دفعها.

والثاني: أنه سبحانه عدل في هذه الأحكام غير ظالم لعبده؛ بل لا يخرج فيها عن موجب العدل والإحسان؛ فإن الظلم سببه حاجة الظالم، أو جهله، أو سفهه؛ فيستحيل صدوره ممن هو بكل شيء عليم، ومَن هو غني عن كل شيء، وكل شيء فقير إليه، ومَن هو أحكم الحاكمين؛ فلا تخرج ذرة من مقدوراته عن حكمته وحمده، كما لم تخرج عن قدرته ومشيئته؛ فحكمته نافذة حيث نفذت مشيئته وقدرته؛ ولهذا قال

---

(١) (العاني): الأسير.

نبي الله هود صلى الله على نبينا وعليه وسلم وقد خوفه قومه بآلهتهم: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

أي: مع كونه سبحانه آخذاً بنواصي خلقه وتصريفهم كما يشاء؛ فهو على صراط مستقيم؛ لا يتصرف فيهم إلا بالعدل والحكمة، والإحسان والرحمة. فقوله: (ماضٍ فيَّ حكمك) مطابق لقوله: ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾، وقوله: (عدل فيَّ قضاؤك) مطابق لقوله: ﴿إنَّ ربي على صراط مستقيم﴾.

ثم توسل إلى ربه بأسمائه التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا، ومنها ما استأثره في علم الغيب عنده؛ فلم يُطلع عليه ملكاً مقرّباً ولا نبياً مرسلاً، وهذه الوسيلة أعظم الوسائل وأحبها إلى الله وأقربها

تحصيلاً للمطلوب.

ثم سأله أن يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، وأن يجعله شفاء همِّه وغمِّه؛ فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلي الطُّبوع والأصدية وغيرها، فأحرى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يزيل عنه داءه، ويُعقبه شفاء تاماً وصحة وعافية، والله الموفق».

وقال في «شفاء العليل»[1]: «قوله: **(أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري)** يجمع أصلين: الحياة والنور؛ فإن الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فينبت الربيع، فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته؛ أن يجعل كتابه الذي جعله روحاً للعالمين ونوراً حياة

---

(١) (ص ٢٧٧).

لقلبه؛ بمنزلة الماء الذي يحيي به الأرض، ونوراً له؛ بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض، والحياة والنور جماع الخير كله».

وقال الشوكاني[1]: «أي: يجعل قلبه مرتاحاً إلى القرآن، مائلاً إليه، راغباً في تلاوته وتدبره».

(تنبيه): هذا الحديث يدل على أن الإقبال على القرآن الكريم، وسماعه وتلاوته بتفهم وتدبر؛ أعظم أسباب ذهاب الهم وجِلاء الحزن.

***

٨ - قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوهُم فَزَادَهُم إِيمَاناً وَقَالُوا

(١) «تحفة الذاكرين» (ص ١٩٧).

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣][١].

قال السعدي[٢]: «﴿حسبنا الله﴾؛ أي: كافينا كل ما أهمنا. ﴿ونعم الوكيل﴾ المُفَوَّضُ إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم».

وقال السيوطي[٣]: «﴿حسبنا الله﴾؛ أي: كافينا، وهي كلمة يدفع بها ما يُخاف ويُكره».

وقال ابن جزي في «التسهيل»[٤]: «معنى ﴿حسبنا الله﴾: كافينا وحده؛ فلا نخاف غيره. ومعنى ﴿نعم الوكيل﴾: ثناء على الله وأنه خير من يتوكل العبدُ عليه ويَلجأ».

***

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٢٢٩ - فتح) وغيره.

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ٢٩٤).

(٣) «معترك الأقران» (٢/ ١٤٧).

(٤) (ص ١٠١).

٩ - «رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

قال الله سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ[1] وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣ و٨٤].

فتوسل عليه الصلاة والسلام إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضرُّ منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة؛ فاستجاب الله له[2].

قال القاسمي عند تفسير هذه الآية[3]: «إن من أسباب الفرج دعاءه تعالى والابتهال إليه والتضرع له،

---

(١) (الضر) الذي أصابه عليه الصلاة والسلام بينه الله تعالى في «سورة صّ» (آية ٤)؛ وهو: (النُّصب والعذاب)، و(النصب): التعب والمشقة، و(العذاب): الألم؛ كما في «أضواء البيان» (٤/ ٦٨٠).

(٢) انظر «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٢٩٤).

(٣) «محاسن التأويل» (١١/ ٢٨١).

وذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

وقال ابن القيم[1]: «جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المُبْتَلَى هذا كُشِفَت عنه بلواه».

* * *

١٠ ـ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

قال الله تعالى: **﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأنبياء: ٨٧ و٨٨].

---

(١) «الفوائد» (ص ٢٥٩).

قال السعـدي[1]: «﴿وكـذلك ننجي المؤمنين﴾؛ وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم؛ أن الله تعالى سينجيه منها، ويكشف عنه ويخفف لإيمانه؛ كما فعل بيونس عليه السلام».

وقال الشنقيطي[2]: «﴿وكذلك ننجي المؤمنين﴾؛ يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكرب والغم فيبتهل إلى الله تعالى داعياً بإخلاص؛ إلا نجاه الله من ذلك الغم، ولا سيما إذا دعا بدعاء «يونس» هذا». ا. هـ.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ، قال:

«أَلَا أُخْبِـرُكُم (أَوْ أُحَـدِّثُكُم) بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُم كَرْبٌ أَو بَلَاءٌ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فُرِّجَ عَنْهُ؟».

فقيل له: بلى. قال:

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/٢٩٦).

(٢) «أضواء البيان» (٤/٦٨٦).

«دُعَاءُ ذِي النُّونِ: **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**»[1].

قال ابن القيم[2]: «أما دعوة ذي النون؛ فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه[3]؛ ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم

---

(١) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٥٥) وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص ١٠) ومن طريقه الحاكم (١/٥٠٥)، وأودعه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٧٤٤) لما في «مسند أحمد» (١/١٧٠) و«المستدرك» (٢/٣٨٢ وغيرها).

قلت: و«سنن الترمذي» أيضاً (٣٥٠٥)، ولفظ الترمذي: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ».

(٢) «زاد المعاد» (٤/٢٠٨).

(٣) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١٠/٢٥٤): «ليس =

والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج، فإن التوحيد والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال لله، وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه، والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله، واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته وافتقاره إلى ربه، فههنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف».

* * *

١١ـ ﴿أُفَوِّضُ أمرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾.

قال الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون:

﴿وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بالعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وحَاقَ بِآلِ فِرْعَونَ سُوءُ

= لأحد من العباد أن يُبَرِّىء نفسه عن هذا الوصف (يعني: الظلم)؛ لا سيما في مقام مناجاته لربه».

العَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤ و٤٥].

قال السعدي(١): «**﴿وأفوض أمري إلى الله﴾**؛ أي: ألجأ إليه وأعتصم، وأُلقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي، ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم.

﴿إن الله بصير بالعباد﴾؛ يعلم أحوالهم وما يستحقون؛ يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾؛ أي: وقى الله القوي ذلك الرجل المؤمن الموفق عقوبات ما مكر فرعون وآله له، ومن إرادة إهلاكه وإتلافه؛ لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/٢٦٢).

السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه، وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيداً فحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وانقلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم».

* * *

١٢ - «﴿إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وأَخْلِفْ لي خَيراً مِنها».

قال الله تعالى: ﴿وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِم ورَحْمَةٌ وأُولَٰئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

وعن أم سلمة رضي الله عنها؛ أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَا مِنْ مُسلِمٍ تُصِيبُه مُصِيبَةٌ فيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي[1] في مُصيبَتِي وأَخْلِفْ لِي خَيراً مِنْهَا؛ إلَّا أَخلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيراً مِنْهَا».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟! أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها؛ فأخلف الله لي رسول الله ﷺ.

قالت: أرسل إلي رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له؛ فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور. فقال: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وأَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالغَيْرَةِ»[2].

قال ابن القيم[3]: «وهذه الكلمة (يعني: ﴿إنا لله

---

(١) أي: أعطني أجري وجزاء صبري وهمي في مصيبتي. «نووي».

(٢) أخرجه مسلم (٩١٨) وغيره.

(٣) «زاد المعاد» (٤/ ١٨٩).

وإنا إليه راجعون﴾) من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته و آجلته؛ فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلّى عن مصيبته.

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضاً فإنه محفوف بِعَدَمَين؛ عدم قبله، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضاً فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقي عليه وجوده، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي، وأيضاً فإنه متصرف فيه بالأمر تصرُّف العبد المأمور المنهي؛ لا تصرف الملاّك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يُخلِّفَ الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه

فرداً كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خُوِّله ونهايته؛ فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود، ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء».

وقال السعدي[1]: «من كمال عبودية العبد؛ علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي هو أرحم بعبده من نفسه؛ فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك».

* * *

١٣ ـ عن أنس رضي الله عنه؛ قال: كان النبي ﷺ يقول:

«اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ[2] بِكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، وضَلَعِ الدَّيْنِ وغَلَبَةِ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١/ ١٢٠).

(٢) (أعوذ)؛ أي: ألتجىء وأعتصم وأتحرز.

الرِّجَالِ»[1].

هذا الحديث ـ كما قال ابن القيم[2] ـ تضمن الاستعاذة من ثمانية أشياء هي كل الشر.

قال[3]: «كل اثنين منها قرينان؛ فالهم والحزن قرينان، وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن التألم على حصول المكروه في الماضي أو فوات المحبوب[4]،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٣٦ و٨/٣٨٧ و١١/١٧٦ و١٧٨ و١٧٩ ـ فتح) ومسلم (٢٧٠٦) وأبو داود (١٥٤٠ و١٥٤١) والترمذي (٣٤٨٤ و٣٤٨٥)، وعنده: قال أنس: «كثيراً ما كنت أسمع النبي ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات». والحديث أخرجه النسائي أيضاً (٨/٢٥٧ و٢٥٨) وغيره.

(٢) انظر «زاد المعاد» (٤/٢٠٨).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/٢٠٧).

(٤) والغم: يكون على مكروه حاصل في الحال؛ يوجب لصاحبه الغم.

وكـــلاهمـــا تألم وعـذاب يرد على الـروح، فإن تعلق بالماضي سُمِّي حزناً، وإن تعلق بالمستقبل سُمِّي هماً.

والعجز والكسل قرينان؛ وهما من أسباب الألم؛ لأنهما يستلزمان فوات المحبوب؛ فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته؛ فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به والتذاذها بإدراكه لو حصل.

والجبن والبخل قرينان؛ لأنهما عدم النفع بالمال والبـدن، وهمـا من أسبـاب الألم؛ لأن الجبـان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة لا تنال إلا بالبذل والشجـاعـة، والبخـل يحـول بينه دونها أيضاً؛ فهذان الخلقان من أعظم أسباب الآلام.

وضلع الـدين وقهـر الرجال قرينان؛ وهما مؤلمان للنفس معذِّبان لها، أحدهما قهر بحق وهو ضَلَع الدَّين، والثاني قهر بباطل وهو غلبة الرجال، وأيضاً فضلع الدين قهر بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال قهر بغير اختياره».

وفي معنى (ضلع الدين) قال الحافظ في «الفتح»[1]: «أصل الضَلَع: الاعوجاج، يقال: ضَلَع يَضْلَع؛ أي: مال، والمراد به هنا ثقل الدين وشدته، وذلك حيث لا يجد من عليه الدين وفاء، ولا سيما مع المطالبة. وقال بعض السلف: ما دخل همُّ الدين قلباً إلا أذهب من العقل ما لا يعود».

* * *

١٤ ـ عن مسلم بن أبي بكرة؛ قال: سمعني أبي وأنا أقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والكَسَلِ وعَذَابِ القَبْرِ**». قال: يا بني ممن سمعت هذا؟ قلت: سمعتك تقولهن. قال: الزمهن؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقولهن[2].

* * *

---

(١) (١١/١٧٤) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٣)، وقال: «حسن صحيح».

١٥ ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورِهِمْ**[١]**، ونَعُوذُ بِكَ مِن شُرُورِهِمْ**»[٢].

قال العظيم آبادي[٣]: «(**اللهم إنا نجعلك في نحورهم**)؛ يقال: جعلت فلاناً في نحر العدو؛ أي: قبالته وحذاءه ليقاتل منك ويحول بينك وبينه، وخص النحر بالذكر لأن العدو به يستقبل عند المناهضة للقتال. والمعنى: نسألك أن تَصُدَّ صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمورهم، وتحول بيننا وبينهم».

* * *

---

(١) مفردها: نحر، وهو أعلى الصدر.

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٣٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٠١) والحاكم (٢/ ١٤٢) وأحمد (٤/ ٤١٥)، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤٥٨٢).

(٣) «عون المعبود» (٤/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦).

١٦ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعَافِيَةَ في دِينِي ودُنْيَايَ وأَهْلِي ومَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وآمِنْ رَوْعَاتِي[1]، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِن بَيْنِ يَدَيَّ ومِن خَلْفِي وعَنْ يَمِينِي وعَنْ شِمَالِي ومِن فَوْقِي، وأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِن تَحْتِي»[2].

---

(١) (الروعات): الفَزْعات، مفردها رَوْعة، و(آمن روعاتي)؛ أي: فزعاتي؛ أي: ارفع عني مخاوفي كلها.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤) وابن ماجه (٣٨٧١) وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٥٦ ـ موارد) والحاكم (١/٥١٧) وصححه، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «تخريج الكلم» (رقم ٢٧).

قال الصنعاني[1]: «العافية في الدين: السلامة من المعاصي والابتداع، وترك ما يجب، والتساهل في الطاعات، وفي الدنيا: السلامة من شرورها ومصائبها، وفي الأهل: السلامة من سوء العِشرة والأمراض والأسقام وشغلهم بطلب التوسع في الحطام، وفي المال: السلامة من الآفات التي تحدث فيه».

***

١٧ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه:

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِن خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وبَينَ مَعَاصِيكَ، ومِن طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، ومِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا[2]، ومَتِّعنَا بِأَسمَاعِنَا

---

(١) «سبل السلام» (٤/ ٢٢١).

(٢) انظر شرح جملة اليقين (ص ١٠٥).

وأَبْصَارِنَا وقُوَّتِنا مَا أَحْيَيْتَنَا، واجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، واجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلى مَن ظَلَمَنَا، وانْصُرْنَا على مَن عَادَانَا، ولاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا، ولاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، ولاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، ولاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَن لاَ يَرْحَمُنَا»[1].

***

التسليم لأمر الله تعالى والرضا بالمقدور

١٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وقال: «حديث حسن»، ووافقه الألباني في «تخريج الكلم الطيب» (رقم ٢٢٥)، وأخرجه ابن السني (٤٤٨) والحاكم (١/٥٢٨)، وقال: «صحيح على شرط البخاري»، ووافقه الذهبي.

أَنِّي فَعَلتُ كَانَ كَذَا وكَذَا ، وَلٰكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1] .

قوله ﷺ : (فإن لو تفتح عمل الشيطان) ؛ أي : تفتح عليك الحزن على الماضي ، والجزع من المقدور ، وترك الصبر عليه ، وذلك يضر ولا ينفع ، وينافي التسليم لأمر الله ، والرضا بما قدّره ، وينافي اليقين بأن ما أصابك فهو بإذن الله تعالى[2] ، وأنه لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك .

***

١٩ ـ عن أبي بن كعب رضي الله عنه ؛ قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال :

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) وغيره .

(٢) كما قال سبحانه : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١] . قالوا في تفسيرها : «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم» .

«يا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَـا فِيهِ». قال أُبَيّ: قلت: يا رسـول الله! إني أُكثر الصلاة عليك؛ فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «مَا شِئْتَ». قال: قلت: الرّبع. قال: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قال: قلت: النّصف. قال: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قال: قلت: فالثّلثين. قال: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قلت: أجعل لك صلاتي كلّها. قال: «إِذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(١).

وفي رواية: «إِذَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ».

قول أُبَيّ: (كم أجعل لك من صلاتي؟)؛ أي: كم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وقال: «حديث حسن صحيح»، والحاكم (٢/ ٤٢١ و٥١٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد (٥/ ١٣٦) بالرواية الثانية، وأخرجه غيرهم، وحسنه الألباني في «الصحيحة» تحت الحديث (رقم ٩٥٤).

أجعل لك من دعائي صلاة عليك؟ قاله المنذري[1].

وقول النبي ﷺ: (إذن تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك)؛ قال المباركفوري[2]: «الهم ما يقصده الإنسان من أمر الدنيا والآخرة؛ يعني: إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة عليَّ أُعطيت مرام الدنيا والآخرة».

وقال الشوكاني[3]: «قوله: (إذن تكفى همك، ويغفر لك ذنبك)؛ في هاتين الخصلتين جماع خير الدنيا والآخرة؛ فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها؛ لأن كل محنة لا بدّ لها من تأثير الهم وإن كانت يسيرة، ومن غَفَر الله ذنبه سلم من محن الآخرة؛ لأنه لا يوبق العبد فيها إلا ذنوبه».

(تنبيه): الصلاة على النبي ﷺ تكون بإحدى الصيغ الواردة في تشهد الصلاة، وهي كثيرة، هذه

---

(١) «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٠١).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٥٤).

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص ٣٠).

إحداها:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عُجْرَة فقال: ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى؛ فأهدها لي. فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله! كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم. قال:

«قولوا: **اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وعَلى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ على إِبْرَاهِيمَ وعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وعَلى آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلى إِبْرَاهِيمَ وعَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(١).

معنى الصلاة على النبي ﷺ

قال البخاري في «صحيحه»(٢): «قال أبو العالية:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/٤٠٨ بحرفه و٨/٥٣٢ و١١/١٥٢ - فتح) ومسلم (٤٠٦) وغيرهما.

(٢) (٨/٥٣٢ - فتح)، وقول أبي العالية رواه القاضي =

صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء».

وقال الحافظ[1]: «أولى الأقوال في معنى الصلاة على النبي ﷺ قول أبي العالية: أن معنى صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم عليه: طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة».

(وآل محمد) ﷺ هم أزواجه وذريته وأهل بيته[2].

وقوله: **(اللهم بارك)**؛ البركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك[3].

= المالكي بإسناده في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (رقم ٩٥)، وقال الألباني ـ هناك ـ: «إسناده موقوف حسن».

(١) انظر «فتح الباري» (١١/١٥٦).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص ١٢٦).

(٣) «جلاء الأفهام» (ص ١٧٨).

قال ابن القيم[1]: «فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له وزيادته، هذا حقيقة البركة».

***

٢٠ ـ عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه؛ قال: خرجنا في ليلة مطيرة، وظلمة شديدة؛ نطلب رسول الله ﷺ يصلي لنا، قال: فأدركته، فقال: «قُلْ». فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ». فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قُلْ». فقلت: ما أقول؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعَوِّذَتَين حِينَ تُمْسِي وحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[2].

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص ١٨١).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) وغيرهما، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، ووافقه الألباني في «تخريج الكلم» (رقم ١٩).

قال المباركفوري[1]: «(تكفيك)؛ أي: السور الثلاث. (من كل شيء)؛ قال الطيبي: أي تدفع عنك كل سوء».

وقال الشوكاني[2]: «وفي الحديث دليل على أن تلاوة هذه السور عند المساء وعند الصباح تكفي التالي من كل شيء يُخشى منه؛ كائناً ما كان».

قلت[3]: ينبغي لمن تعوذ بهذه السور أن يفهم معناها، ويُقبل في تعوذه بها على ربه عز وجل؛ لا أن يقولها بلسانه مجرداً؛ دون حضور القلب، وتدبر المعنى، فمن قرأ: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ مثلاً، وهو لا يدري معنى «أعوذ»، ولا معنى اسم «الرب» تبارك، ولا معنى «الفلق»، أو يعلم معنى ذلك؛ لكن لم يستحضره ولم يتدبره، فإن هذا وإن كان فيه أصل النفع؛

(١) «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٢٨).

(٢) «تحفة الذاكرين» (ص ٦٠).

(٣) «الفرار إلى الله» (ص ١٦٩).

إلا أنه لا يغني ولا يترتب عليه الموعود.

وتعجيلاً للفائدة، هذا تفسير السور الثلاث للعلامة السعدي رحمه الله.

تفسير سورة «الإخلاص»

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

أي: ﴿قل﴾ قولاً جازماً به معتقداً له عارفاً بمعناه: ﴿هو الله أحد﴾؛ أي: قد انحصرت فيه الأحدية؛ فهو الأحد المنفرد بالكمال؛ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

﴿الله الصمد﴾؛ أي: المقصود في جميع الحوائج؛ فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد

كمل في علمه، الحليم الذي كمل في حلمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه.

ومن كماله أنه: ﴿لم يلد ولم يولد﴾؛ لكمال غناه، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾؛ لا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى.

فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات.

تفسير سورة «الفلق»

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

أي: ﴿قل﴾ متعوذاً: ﴿أعوذ﴾؛ أي: ألجأ وألوذ وأعتصم. ﴿برب الفلق﴾؛ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١٧/ ٥٠٤): «كل ما =

﴿من شر ما خلق﴾ ؛ وهذا يشمل جميع ما خلق الله من إنس وجن وحيوانات ؛ فيستعاذ بخالقها من الشر الذي فيها.

ثم خص بعد ما عمّ ؛ فقال: **﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾** ؛ أي: من شر ما يكون في الليل[1] حين يغشى

= خلقه الرب فهو فلق. قال الحسن: الفلق كل ما انفلق عن شيء؛ كالصبح، والحب، والنوى».

(١) وهو قول أكثر المفسرين وأهل اللغة؛ كما في «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٧/ ٥٠٥).

وقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها؛ أنه ﷺ نظر إلى القمر فقال: «يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هٰذا؛ فَإِنَّ هٰذا الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ». أخرجه الترمذي (٣٣٦٦) وغيره، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

«فالنبي ﷺ أخبر وخبره أصدق الخبر؛ بأن القمر هو الغاسق إذا وقب، ولكنه ﷺ لم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب، وتخصيص النبي ﷺ للقمر بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره.

وهذا التفسير من النبي ﷺ قد ظن بعض الناس منافاته لمن =

النعاس، وينتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة والحيوانات المؤذية.

﴿**ومن شر النفـاثـات في العقد**﴾؛ أي: ومن شر السـواحر الـلاتي يستعنَّ على سحـرهنَّ بالعقـد التي يعقدنها على السحر(1).

= فسره بالليل، فجعلوه قولاً آخر، وليس كذلك بل يوافقه ويشهد لصحته، فأَمْره ﷺ بالاستعاذة من شر القمر أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعـلامتـه، والدليل مستلزم للمدلول، فإذا كان شر القمـر موجـوداً؛ فشـر الليل موجـود». انظر «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٥٠٦) و«بدائع الفوائد» (٢/ ٢١٧).

(1) قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٢١ - ٢٢٢): «النفـاثـات هنـا: هن الأرواح والأنفس النفـاثـات؛ لا النسـاء النفـاثـات؛ لأن تأثير السحـر إنمـا هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة، وسلطانه إنما يظهر منها، فلهذا ذُكِرَت النفاثات هنـا بلفظ التـأنيث دون التـذكير، والله أعلم». وانظر «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٥٠٧).

﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ ؛ والحاسد هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود ؛ فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب ؛ فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين ؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع خبيث النفس.

فهذه السورة تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور؛ عموماً وخصوصاً، ودلت على أن السحر له حقيقة ؛ يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله.

تفسير سورة «الناس»

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

هذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادَّتها، الذي من فتنته وشره أنه يوسوس في صدور

النـاس؛ **فيحسِّن** لهم الشـر، ويريهم إياه في صورة حسنـة، وينشط إرادتهم لفعله، ويثبطهم عن الخير، ويريهم إياه في صورة غير صورتـه، وهـو دائمـاً بهـذه الحال؛ يوسوس ثم يخنس؛ أي: يتأخر عن الوسوسة إذا ذَكَرَ العبدُ ربَّه واستعان على دفعه، فينبغي له أن يستعين ويستعيذ ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم، وأن الخلق كلهم داخلون تحت الربوبية والملك؛ فكل دابة هو آخذ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم لأجلها؛ فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم الـذي يريد أن يقتطعهم عنها، ويحـول بينهم وبينهـا، ويريد أن يجعلهم من حزبـه؛ ليكونوا من أصحاب السعير. والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: ﴿**من الجِنة والناس**﴾.

* * *

٢١ ـ عن حذيفة رضي الله عنه؛ قال: «كان النبي

ﷺ إذا حَزَبَه[1] أمر صلى»[2].

قال ابن القيم[3]: «أما الصلاة؛ فشأنها في تفريح القلب وتقويته وشرحه وابتهاجه ولذته أكبر شأن، وفيها من اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتنعم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقُواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظه منها، واشتغاله عن التعلق بالخلق وملابستهم ومحاورتهم، وانجذابِ قُوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره، وراحته مِن عدوه حالة الصلاة؛ ما صارت به من أكبر الأدوية والمفرحات والأغذية التي لا تُلائم إلا

---

(1) (حزبه أمر)؛ أي: نزل به مهمٌّ أو أصابه غمٌّ. «نهاية».

(2) أخرجه أبو داود (١٣١٩) وأحمد (٥/٣٨٨)، وحسنه الألباني في «المشكاة - التخريج الثاني» تحت الحديث (رقم ١٣٢٥)؛ لشاهد أخرجه الضياء في «المختارة»؛ كذا أخبرني حفظه الله.

(3) «زاد المعاد» (٤/٢٠٩).

القلوبَ الصحيحة، وأما القلوب العليلة؛ فهي كالأبدان لا تناسبها إلا الأغذية الفاضلة.

فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومَطْرَدة للداء عن الجسد، ومُنَوِّرة للقلب، ومُبَيِّضة للوجه، ومُنَشِّطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة للنعمة، ودافعة للنقمة، ومنزلة للرحمة، وكاشفة للغُمَّة».

وقال السعدي[1]: «روح الصلاة ومقصودها الأعظم حضور القلب بين يدي الله، ومناجاته بكلامه وذكره والثناء عليه ودعائه والتضرع إليه وطلب القربة عنده ورجاء ثوابه، وذلك بلا ريب ينير القلب، ويشرح الصدر، ويفرح النفس والروح، ويذهب الهم والغم».

(١) «الرياض الناضرة» (ص ١٧) بتصرف يسير.

القسم الثاني

في أمور مهمة

تتعلق بالذكر والدعاء

ذكر الله أعظم

أسباب النجاة من عذاب الدنيا والآخرة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً قَطُّ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[1].

قال الصنعاني[2]: «الحديث من أدلة فضل الذكر وأنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة، وهو أيضاً من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها».

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٩) وغيره، وهو في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٥٥٢٠).

(٢) «سبل السلام» (٤/ ٢١٣).

وقال ابن القيم[1]: «للذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه».

وقال السعدي[2]: «من أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته الإكثار من ذكر الله، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه؛ قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره».

وفي «التذكرة في الوعظ»[3]:

يَا طَالِبَ الخَيرَاتِ أَينَ أَنتَ
عَن بَابِ الغَنِيِّ الحَمِيدِ

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٥).

(٢) «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (ص ١٣).

(٣) (ص ٥٨).

يا خَائِفَ الشَّرِّ هَلَّا لَجَأْتَ

إِلَى رُكْنِ القَوِيِّ الشَّدِيدِ

يا مَن قَدِ اعْتَكَرَتْ عَلى قَلبِهِ الهُمُومُ

لِمَ لَا تُرَوِّحُ بِذِكْرِ الحَمِيدِ المَجِيدِ

* * *

الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل

عن عائشة رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، والدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وإِنَّ البَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ[1] إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ»[3].

---

(١) أي: يتصارعان.

(٢) أخرجه الحاكم (١/٤٩٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٧٦١٦).

(٣) أخرجه الحاكم (١/٤٩٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٣٤٠٣).

قولـه ﷺ: «(الـدعـاء ينفـع مما نزل)؛ أي: من المصـائب والمكـاره؛ أي: يسهِّـل تحمّل ما نزل من البلاء؛ فيصبره أو يرضيه حتى أنه لا يكون متمنياً خلافه. (ومما لم ينزل) منها؛ بأن يصرف ذلك عنه، أو يمده قبل النزول بتأييد إلٰهي من عنده حتى لا يعبأ به إذا نزل.

وخص عبـاد الله بالـذكـر تحريضاً على الدعاء، وإشـارة إلى أن الـدعـاء هو العبـادة؛ فالزموا واجتهدوا وألحوا فيه وداوموا عليه؛ لأن به يحاز الثواب، ويحصل ما هو الصـواب، وكفى بك شرفـاً أن تدعوه فيجيبك، ويختار لك ما هو الأصلح في العاجل والآجل»[1].

* * *

---

(١) انظر «فيض القدير» (٣/٥٤٢).

الدعاء ينفع المسلم وإن لم ينل مطلوبه

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«مَا عَلى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَو صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا؛ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَو قَطِيعَةِ رَحِمٍ». فقال رجل من القوم: إذاً نكثر. قال: «اللَّهُ أَكْثَرُ»(١).

* * *

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٣)، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٥١٣).

كل ما يصيب المسلم من الهم والغم يكفر الله به من خطاياه

عن أبي سعيد وعن أبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ:

«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ[1] وَلَا وَصَبٍ[2] وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ؛ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[3].

* * *

---

(١) أي: تعب؛ وزنه ومعناه.

(٢) أي: مرض؛ وزنه ومعناه.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/١٠٣ - فتح) ومسلم (٢٥٧٣) وغيرهما.

الدعاء أكرم شيء على الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«لَيْسَ شَيءٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»[1].

قال الصنعاني[2]: «الدعاء يتضمن حقيقة العبودية، والاعتراف بغنى الرب وافتقار العبد، وقدرته تعالى وعجز العبد، وإحاطته تعالى بكل شيء علماً».

وقال: «الدعاء يزيد العبد قرباً من ربه واعترافاً بحقه».

***

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٠) وابن ماجه (٣٨٢٩) والبخاري في «الأدب» (رقم ٧١٣) والحاكم (١/ ٤٩٠) وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه ـ أيضاً ـ أحمد (٢/ ٣٦٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٥٢٦٨).

(٢) «سبل السلام» (٤/ ٢١٢).

ضرورة حضور القلب في الذكر والدعاء

اعلم أن حضور القلب في العبادة؛ من تلاوة وذكر ودعاء وغيرها؛ هو روحها، فكما أنه لا حياة للجسد بلا روح؛ كذلك كل عبادة لا حضور فيها؛ فإنها ميتة لا روح فيها.

وأعني بحضور القلب: تنبهه لعظمة الله تعالى وجلاله، واستشعاره لرقابته، مع تدبر العبد معنى ما يجريه على لسانه، وعدم اشتغاله أثناء ذلك بشيء من أمور الدنيا.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ٱدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) والحاكم (١/ ٤٩٣) =

قال النووي[1]: «المراد من الذكر حضور القلب؛ فينبغي أن يكـون هو مقصـود الـذاكـر؛ فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر ويعقل معناه، فالتدبر في الذكر مطلوب كمـا هو مطلوب في القـراءة؛ لاشتراكهما في المعنى المقصود».

وقـال[2]: «اعلم أن مقصـود الـدعـاء هو حضـور القلب، والـدلائل عليه أكثر من أن تُحصر، والعلم به أوضح من أن يُذكر».

* * *

= وغيرهما، وهو حديث حسن مودع في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٥٩٤).

(١) «الأذكار» (ص ٩).

(٢) «الأذكار» (ص ٣٥٦).

ماذا يفعل من يحب أن يستجيب الله له في الشدائد؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ والكُرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ في الرَّخَاءِ»[1].

قال المناوي[2]: «(فليكثر الدعاء في الرخاء)؛ أي: في حال الرفاهية والأمن والعافية؛ لأن من شيمة المؤمن الشاكر الحازم أن يريش السهم[3] قبل الرمي، ويلتجىء إلى الله قبل الاضطرار؛ بخلاف الكافر الشقي والمؤمن الغبي: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٢) وغيره، وهو في «الصحيحة» (رقم ٥٩٣).

(٢) «فيض القدير» (٦/ ١٥٠).

(٣) أي: يضع عليه الريش.

إِلَيهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾ [الزمر: ٨].

فتعين على من يريد النجاة من ورطات الشدائد والغموم أن لا يغفل بقلبه ولسانه عن التوجه إلى حضرة الحق ـ تقدس ـ بالحمد والابتهال إليه والثناء عليه، إذ المراد بالدعاء في الرخاء ـ كما قاله الإمام الحليمي ـ دعاء الثناء والشكر والاعتراف بالمنن، وسؤال التوفيق والمعونة والتأييد، والاستغفار لعوارض التقصير؛ فإن العبد ـ وإن جهد ـ لم يُوَفِّ ما عليه من حقوق الله بتمامها، ومن غفل عن ذلك ولم يلاحظه في زمن صحته وفراغه وأمنه؛ كان صَدَق عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]».

***

أفضل دعوة يدعوها العبد

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا العَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ المُعَافَاةَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ**»[1].

وعن معاذ بن رِفاعة، عن أبيه؛ قال: قام أبو بكر الصديق على المنبر، ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ على المنبر، ثم بكى فقال: «سَلُوا اللَّهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ؛ فإِنَّ أَحداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيراً مِنَ العَافِيَةِ»[2].

قال الشوكاني[3]: «قوله: (العفو): هو التجاوز عن

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥١)، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١١٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) وغيره، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٣٥٢٦).

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص ٣٠٥).

العبد بغفران ذنوبه، وعدم مؤاخذته بما اقترفه منها.

و(العافية): هي دفاع الله عن العبد، وهذا الدفاع المضاف إلى الاسم الشريف، يشمل كل نوع من أنواع البلايا والمحن، فكل ما دفعه الله عن العبد منها فهو عافية».

قال: «سأل النبي ﷺ ربه سبحانه وتعالى أن يرزقه العفو الذي هو العمدة في الفوز بدار المعاد، ثم سأله أن يرزقه العافية التي هي العمدة في صلاح أمور الدنيا، والسلامة من شرورها ومحنها، فكان هذا الدعاء من الكلم الجوامع، والفوائد النوافع؛ فعلى العبد أن يستكثر من الدعاء بالعافية، وقد أغنى عن التطويل في ذكر فوائدها ومنافعها ما ذكره رسول الله ﷺ في هذا الحديث؛ فإنها إذا كانت بحيث أنه لم يعط أحد بعد اليقين خيراً منها؛ فقد فاقت كل الخصال وارتفعت درجتها على كل خير».

***

دعاء من أجمع أدعية النبي ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ علَّمها هذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مِنَ الخَير كُلِّه؛ عَاجِلِهِ وآجِلِه، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ ومَا لَمْ أَعْلَمْ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّه؛ عَاجِلِه وآجِلِه، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إنِّي أَسألُكَ مِنْ خَيرِ مَا سَألَكَ عَبدُكَ ونَبيُّكَ، وأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبدُكَ ونَبيُّكَ. اللَّهُمَّ إنِّي أَسْألُكَ الجَنَّةَ ومَا قَرَّبَ إِلَيهَا مِنْ قَولٍ أو عَمَلٍ، وأَعُوذُ بكَ مِنَ النَّارِ ومَا قَرَّبَ إِلَيهَا مِنْ قَوْلٍ أو عَمَلٍ، وأَسْألُكَ أَنْ تَجعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيتَهُ لِي خَيراً»(١).

***

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٦) وابن حبان (٢٤١٣ ـ موارد) وأحمد (٦/١٣٤) وغيرهم، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٥٤٢).

لا كاشف للسوء إلا الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

قال السعدي(١): «أي: هل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه؛ إلا الله وحده؟ ومن ﴿يكشف السوء﴾؛ أي: البلاء والشر والنقمة؛ إلا الله وحده؟».

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ(٢) فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/٥١٥).

(٢) من فقر أو مرض أو عسر أو غم أو هم أو نحوه.

﴿يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا[1]﴾ [الإسراء: ٥٦].

* * *

(١) أي: من شخص إلى آخر، أو من شدة إلى ما دونها.

ماذا ينبغي لمن كشفَ اللَّهُ تعالى كَرْبَه؟

على العبد إذا كُشِفَ كربه وهمه وغمه؛ أن يشتغل بشكر الرَّب ـ جل وعلا ـ الذي أنعم عليه وعافاه، وكشف ما به من ضر، وأن يصرف عمره في طاعته وذكره، وأن لا يكون من أهل الغدر الذين يلجؤون إلى الله تعالى عند الكرب، ويَعِدونه تعالى بالتوبة والعمل الصالح، ثم إذا استجاب لهم وكشف ما بهم؛ أعرضوا عنه سبحانه ونسوه؛ كأن لم يكن بهم كرب، ولم تصبهم شدة، ولم يعذب أرواحهم هم ولا غم؛ كما قال الله سبحانه: ﴿وإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلى ضُرٍ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢].

قال السعدي(١): «فأي ظلم أعظم من هذا

---

(١) «التيسير» (٢/٣٠٧).

الظلم؟!! يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه، وكأنه ليس عليه لله حق، وهذا تزيين من الشيطان؛ زين له ما كان مستهجناً مستقبحاً في العقول والفِطَر».

❋ ❋ ❋

القسم الثالث

في أعظم الأمور المذهبة للهم والغم

= غير الذكر والدعاء =

أعظم الأمور المذهبة للهم والغم
ـ غير الذكر والدعاء ـ

كان مرادي من هذا الكتاب أن أذكر ما يتعلق بالهم والغم من الأذكـار والـدعوات فقط، وألحقت بها تلاوة القرآن الكريم والصلاة؛ كما تقدم.

ثم رأيت من تمام الفائدة؛ أن أبين أن هناك أموراً أخرى تذهب الهم والغم تنبغي معرفتها.

وعلى سبيل الإشـارة والاختصـار أذكـر بعضهـا؛ فأعظم ذلك:

الإيمان بالله

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

قوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾؛ أي: فيها الراحة والسعادة والطمأنينة والانشراح، فيها القناعة بقسمة الله، والرضا والتسليم له في أقداره؛ فلا يجزع عند المصيبة؛ بل يرضى ويصبر ناظراً إلى حكمة الله تعالى، مُتطلعاً إلى نيل المثوبات وتكفير السيئات.

قال ابن كثير[1]: «الحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت».

قال المراغي[2]: «أما من أعرض عن ذكر الله؛ فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً؛ فهو في عناء ونكد؛ إذ يكون

---

(١) «تفسيره» (٢/ ٥٨٥).

(٢) «تفسيره» (١٤/ ١٣٨).

شديد الحرص والطمع في الحصول على لذات الدنيا؛ فإن أصابته محنة أو بلاء استعظم أمره، وعظمت أحزانه، وكثر غمه وكدره، وإذا فاته شيء من خيراتها عبس وبَسَر، وأمتلأ قلبه أسى وحسرة؛ لأنه يظن أن السعادة كل السعادة في الحصول على زخرف هذه الحياة والتمتع بمتاعها، فإذا هو لم ينل منه ما يريد؛ فقد حُرِم كل ما يحلم به ويقدره من وافر السعادة وعظيم الخير، والإنسان بطبعه جزوع هلوع منوع: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً . وإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١]».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

قال ابن القيم[١]: «أي: يدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة».

---

(١) «الجواب الكافي» (ص ٨٣).

وقال السعدي[1]: «هذا إخبار ووعد وبشارة من الله للذين آمنوا؛ أن يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم - بسبب إيمانهم - كل شر من شرور الكفار، وشرور وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره ما لا يتحملونه؛ فيخفف عنهم غاية التخفيف، كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه؛ فمستقل ومستكثر».

وقال[2]: «من ثمرات الإيمان أنه يسلي العبد عند المصائب، ويهوِّن عليه الشَّدائد والنَّوائب؛ ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]؛ وهو العبد الذي تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ فيرضى ويسلم للأقدار المؤلمة، وتهون عليه المصائب

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/٣٢٣).

(٢) «الرياض الناضرة» (ص ٨ و٩).

المزعجة؛ لصدورها من عند الله وإيصالها إلى ثوابه[1]؛ قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

ولهذا يوجد عند المؤمنين الصادقين حين تصيبهم النوازل والقلاقل والابتلاء؛ من الصبر والثبات والطمأنينة والسكون والقيام بحق الله؛ ما لا يوجد عشر معشاره عند من ليس كذلك، وذلك لقوة الإيمان واليقين».

وتقدم عند دعوة يونس عليه الصلاة والسلام بيان معنى قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وأن المؤمن إذا أصابه كرب وغم فدعا ربه مخلصاً؛ كشف الله عنه لإيمانه.

***

---

(١) وانظر تفسيره ـ رحمه الله ـ للآية من حيث العموم اللفظي في «التيسير» (٥/٢٥٤).

التوحيد

ويدخـل في الإيمـان بالله توحيده تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قال السعـدي في «القول السديد»: «التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوباتهما».

وقال ابن القيم[1]: «لا يلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد؛ فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها».

قلت: والمتـأمـل في أدعية الكرب والهم والغم؛ يجـد غالبها قد اشتمل على التوحيد (لفظاً أو معنى)؛ فدعاء الكرب مثلاً؛ تكررت فيه كلمة التوحيد: «لا إله إلا اللّٰه» ثلاث مرات[2].

---

(١) «الفوائد» (ص ٧٠).

(٢) وقد تقدم سر ذلك في شرح الدعاء (رقم ١).

قال ابن القيم[1]: «فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع».

وقال[2]: «التوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج».

***

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/١٣٥).

(٢) «زاد المعاد» (٤/٢٠٢).

التقوى

ومن ذلك: تقوى الله تعالى؛ بأن يجعل العبد بينه وبين عقاب الله وسخطه وقاية؛ هي فعل الأوامر وترك النواهي؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢].

قال ابن كثير[١]: «قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة».

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ [الطلاق: ٤].

قال ابن كثير[٢]: «أي: يسهل له أمره وييسره عليه، ويجعل له فرجاً قريباً ومخرجاً عاجلاً».

* * *

---

(١) «تفسيره» (٤/ ٣٨٠).

(٢) «تفسيره» (٤/ ٣٨٢).

اليقين

ومن ذلك: «اليقين»؛ قال النبي ﷺ:

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا» الحديث[1].

قال المباركفوري[2]: «(ومن اليقين)؛ أي: اليقين بك، وبأن لا مرد لقضائك، وبأنه لا يصيبنا إلا ما كتبته علينا، وبأن ما قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة، مع ما فيه من مزيد المثوبة. (ما تهون به)؛ أي: تسهل أنت بذلك اليقين (مصيبات الدنيا)؛ فإن من علم يقيناً أن مصيبات الدنيا مثوبات الأخرى؛ لا يغتم بما أصابه، ولا يحزن بما نابه».

***

---

(١) تقدم في «القسم الأول» (رقم ١٧).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٩/ ٤٧٥).

الإقبال على الله والدار الآخرة

وممــا يذهب الهمَّ والغمَّ: أن يكــون الله تعــالى مقصــد العبد، ورضاه غايته، والدار الآخرة الباقية ـ لا الدنيا الفانية ـ محط نظره، وشغل قلبه.

فمــطلبــه ما فيها ممـا لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وما فيها مما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ومهـربـه ممـا فيها من الأهوال العظام، والأخطار الجسام، في القيامة العظمى، والنار الكبرى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنىً، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»(١).

---

(١) أخـرجـه الترمذي (٢٤٦٦) وابن ماجـه (٤١٠٧) وغيرهما، وهو في «الصحيحة» (١٣٥٩).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يَقُولُ رَبُّكُم تبارَكَ وَتَعالَى: يَا ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبادَتِي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنىً، وَأَمْلأْ يَدَيْكَ رِزْقاً، يَا ابْنَ آدَمَ! لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلأْ قَلْبَكَ فَقْراً، وَأَمْلأْ يَدَيْكَ شُغْلاً»[1].

قال ابن القيم[2]: «الإقبال على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضى به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره، والفرح والسرور بمعرفته؛ ثواب عاجل، وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة».

وقال[3]: «محبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب والخوف

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٢٦)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وأقرهما الألباني في «الصحيحة» (٣/٣٤٧).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٦٠).

(٣) «الوابل» (ص ٦٢).

والـرجـاء والتـوكـل والمعاملة؛ بحيث يكون هو وحده المستـولي على همـوم العبد وعزماته وإرادته؛ هو جنة الـدنيا، والنعيم الـذي لا يشبهـه نعيم، وهـو قرة عين المحبين، وحياة العارفين».

وقال السعدي[1]: «تعلق القلب بالله وحده واللهج بذكره والقناعة؛ أسباب لزوال الهموم والغموم، وانشراح الصدر والحياة الطيبة، والضد بالضد؛ فلا أضيق صدراً وأكثر هماً ممن تعلق قلبه بغير الله، ونسي ذكر الله، ولم يقنع بما آتاه الله، والتجربة أكبر شاهد». ا.هـ.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ؛ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَينَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ؛ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ في

---

(١) «الرياض الناضرة» (ص ١٦١).

قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»[1].

وعن عبد الله بن مسعـود رضي الله عنه؛ قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول:

«مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمّاً وَاحِداً؛ هَمَّ آخِرَتِهِ؛ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا؛ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»[2].

ولأبي العتاهية:

إذا جعَـلتَ الـهَـمَّ همَّـاً وَاحِـداً
نَعِـمـتَ بَالاً وغَـنِـمـتَ رَاشِـداً

وإليك أخي القارىء هذه القصة؛ «**قصة الرجل الغني مع صاحبه**»[3]؛ فإن فيها فائدة وعبرة:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥) وابن حبان في «صحيحه» (٧٢ ـ موارد)، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٩٥٠).

(٢) أخرجـه ابن ماجـه (٢٥٧ و٤١٠٦) وغيره، وهـو في «صحيح الجامع» (رقم ٦٠٦٥).

(٣) «الرياض الناضرة» (ص ١٧٦ ـ ١٧٨).

«كان رجل مثرياً قد أعطاه الله من أصناف المال المتنوع من عقار ونقود وعروض وأموال كثيرة، وكان له صاحب يعرف منه النُّصح والعلم، فقال لصاحبه شاكياً له الحال: ألم تر ما أنا فيه من الغنى الواسع والأموال الكثيرة؟ والناس كالمتفقين على أن من كان كذلك فقد حصلت له السعادة الدنيوية والعيش الهني والحياة السعيدة، وأنا فيما أنا فيه لم أدرك ما ذكروا ولم أزل أتنقل من هم إلى كدر، ولم تحصل لي اللذة الصحيحة في حياتي، فأحب أن ترشدني يا صاحبي إلى الحياة السعيدة وإلى الراحة في حياتي.

فقال له صاحبه: ياأخي! اعلم أن من أتى الأمور من غير أبوابها وطرقها وسلك للمنافع غير مسالكها لم يدرك المطلوب ولم ينج من المرهوب، وأنت جعلت الدنيا أكبر همك ومبلغ علمك وحبيبك الوحيد الذي ملك عليك ظاهرك وباطنك ومشاعرك وحواسك كلها، ومن كان كذلك فهو طبعاً لا يستريح في دنياه؛ فإنه إن

حصل عليه كساد أو خسارة في بيع وشراء أو نقص في ثمار أو تشوشت عليه الأسباب في جهة من جهات دنياه فإنه في كدر؛ فضلاً عن الأكدار التي تنتابه من جهة الأهل والعائلة والمعاملين والمعاشرين واختلاف الإرادات وتعذّر الاتفاق والانسجام بينهم من كل وجه أو تعسر ذلك.

فقال له المثري: صدقت، من هذه الجهات كلها ومن غيرها يأتيني الكدر، والهم ملازم لي في كل أحوالي، فهل من سبيل إلى تخفيف ذلك أو زواله بالكلية؟ فقد ضاقت علي الحيل والمحاولات، وأنا حريص على راحة نفسي بأي سبيل.

فقال له صاحبه: يا أخي! السبيل واضح، ولكن ما دامت خطتك على هذا المنوال فغير ممكن لك العيشة الهنيئة، فإن غيرت خطتك وفهمت ما أقول لك وعملت عليه رجوت لك الخير والحياة الطيبة السعيدة.

فأول ذلك أن تعلم علم اليقين أن الدنيا والأموال

المتنوعة ليست هي المقصود لذاتها، وإنما هي مقصودة لغيرها، ووسيلة يتوسل بها العبد إلى منافعه الحقيقية ومطالبه الأبدية وسعادته الأخروية.

فاجعل يا أخي! هذا المعنى الذي لا يستريب فيه العقلاء نصب عينيك وقبلة قلبك، ثم اسع في تحصيل الدنيا وفي تصريفها وفي تدبيرها من كل جهة على هذا الأساس، واستصحب النية الصادقة في جميع نواحي حياتك سعياً وتدخيلاً وتصريفاً؛ فإذا عاملت الناس ببيع وشراء وتأجير ومشاركات وغيرها؛ فاقصد بذلك القيام بالواجبات والمستحبات والاستغناء عن الخلق، واقتصر على المعاملات الطيبة الحلال، واجتهد في أن تكون مكاسبك كلها حلالاً، ثم تصريفها في الواجبات من الزكاة والنفقات والمستحبات وتوابعها، تقرب بذلك إلى الله واحتسب عنده الأجر والثواب، واحمد ربك الذي أقدرك على المال ثم وفقك في صرفه في الوجوه النافعة التي تبرىء بها ذمتك وتكتسب بها الأجر العظيم عند

الله، وتكون لك مغنماً لا مغرماً، فإنك إن فعلت ذلك هانت عليك النفقات وبذلتها بسماحة ورغبة وعلم بأنها تكسب لها أمثالها أضعافاً مضاعفة.

ومع ذلك فإذا حصل فيها ما تحب من زيادة ونمو وكمال فأكثر من حمد الله وشكره، وإذا حصل فيها ما تكره فاحتسب ذلك عند الله واعتبرها من المصائب التي يعوض الله الصابرين عليها من الأجر أضعاف أضعاف ما فاتهم، فإنك إن وفقت لذلك حصلت لك الحياة الطيبة، وهي راحة القلب وطمأنينته وطمعه في فضل الله وثوابه في كل حالة وفي كل وقت، ومع ذلك فإنه لا يفوتك من نصيبك من الدنيا ولا من لذاتها شيء بل تستوفيها كاملة هنيئة؛ تفوق فيها لذة المترفين ونعيمهم، ويجمع الله لك بين خيري الدنيا والآخرة.

واعلم أن هذا ليس بعسير؛ بل هو يسير على من يسره الله عليه، ومن ذاق طعم هذه الحياة علم أن هذه الحياة التي يسعى لها الخلق وأرباب الدنيا وجمهورهم

لم يدركها، بل مات بغمّه لم يذق لها طعماً، ولكنك يا أخي! تحتاج إلى تمرين كثير، وتغيير لطبيعتك الأولى التي ملكت الدنيا عليك مشاعرك وأمورك كلها، وتستعين الله على ذلك؛ فمن توكل عليه أعانه وكفاه.

فواأسفاً لمن أُعطوا نصيباً من الدنيا فخسروها، وأُعطوا الأسباب التي تُدرك بها الخيرات فلم يستعملوها، ووُهِبت لهم المواهب المتنوعة فلم ينتفعوا بها ويستغلوها، وما أحسن ما قال الحكيم في شعره:

ولَم أرَ في عُيوبِ النَّاسِ شَيئاً
كَنَقصِ القادِرينَ عَلى التَّمامِ»

***

ذكر الموت والبلى

ومن أعظم ما يذهب الهموم والأحزان: الإكثار من ذكر الموت؛ فإذا تفكر العبد في كرب الموت وشدائده، وأنه لا بد له منه، وأنه آت، وكل آتٍ قريب؛ هانت عليه كل كربة وشدة دونه.

وأنجع طريق فيه؛ أن يذكر من مضى من الأقران، ومن ذهب من الجيران، ويذكر الأصحاب والأحباب، وكيف كان حالهم في الدنيا، وتقلبهم فيها، وما صاروا إليه من ظلمة القبور؛ فانقطعوا عن اللذات، وحيل بينهم وبين الشهوات، وأنه سيصير إلى حالهم، وسيكون مآله مآلهم.

فالإكثار من مثل هذه الأفكار، مع زيارة القبور بقصد الفكر والاعتبار؛ من أعظم أسباب رقة القلب واشتغال العبد عن كل هم وحزن دون هم الآخرة والحزن على فوات نصيبه منها.

وقد جربت هذا كثيراً جداً؛ فكان كما ذكرته، وما حرت قط في ذهاب هم أو كرب إلا وعالجت نفسي بذكر الموت وزيارة القبور؛ فإذا بالقلب ينشرح، وبالهمّ ينجلي، وبالكرب ينكشف، وبالشدة تزول، هذا مع وجود أسبابها في الخارج؛ لكن هان كل كرب وذهبت كل شدة دون كرب الموت وشدته، وتضاءل كل خطر دون خطر القدوم على الله تعالى بغير زاد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ؛ قال:

«أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَاتِ؛ فَمَا ذَكَرَهُ عَبدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وهُوَ في سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيهِ»(1).

(1) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٦٠) وابن حبان (٢٥٦٢ - موارد) وغيرهما، وحسن إسناده الألباني في «الإرواء» (١٤٥/٣). وروى الجملة الأولى منه الترمذي (٢٣٠٧) والنسائي (٤/٤) وابن ماجه (٤٢٥٨) وغيرهم.

قال المناوي[1]: «إذا أكثر الإنسان ذكر الموت بقلبه؛ انقشعت الظلمة واستنار الصدر بنور اليقين؛ فأبصر الموت وهو عاقبة الأمر؛ فرآه قاطعاً لكل لذة، حائلاً بينه وبين كل أمنية، ورآها أنفاساً معدودة، وأوقاتاً محدودة؛ لا يدري متى ينفد العدد، وينقضي المدد؛ فركبته أهوال الخطر، وأذهلته العبر، وتردد بين الخوف والرجاء؛ فانكسر قلبه، وخمدت نفسه، وذبلت نار شهوته؛ فزهد في أمنيته، ورضي بأدنى عيشته».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُنتُ نَهيتُكُم عَن زِيَارَةِ القُبُورِ؛ أَلَا فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهُ يَرِقُّ القَلبُ، وَتَدمَعُ العَينُ، وَتُذْكَرُ الآخِرَةُ، وَلَا تَقُولُوا هُجْراً»[2].

* * *

---

(١) «فيض القدير» (٢/ ٨٦).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٣٧٦) وغيره، وهو في «صحيح الجامع» برقم (٤٤٦٠).

التعرف إلى الله في الرخاء

ومن أعظم الأمور التي توجب تفريج الكروب، وإخراج العبد من المضائق والشدائد: تعرُّفه إلى الله تعالى في حال سروره وصحته وفراغه؛ كما قال رسول الله ﷺ:

«تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»[1].

قال المناوي[2]: «(تعرّف) بشد الراء (إلى الله)؛ أي: تحبب وتقرب إليه بطاعته، والشكر على سابغ نعمته، والصبر تحت مُرِّ أقضيته، وصدق الالتجاء الخالص قبل نزول بليته.

(في الرخاء)؛ أي: في الدعة والأمن والنعمة وسعة العمر وصحة البدن، فالزم الطاعات والإنفاق في القربات حتى تكون متصفاً عنده بذلك معروفاً به.

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٢٩٥٨).

(٢) «فيض القدير» (٣/٢٥١).

(يعرفك في الشدة)؛ بتفريجها عنك وجعله لك من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً؛ بما سلف من ذلك التعرف». ا. هـ.

قال بعضهم[1]: «ينبغي أن يكون بين العبد وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريباً للاستغناء له منه؛ فيأنس به في خلوته، ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وطاعته، ولا يزال العبد يقع في شدائد وكرب في الدنيا والبرزخ والموقف، فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه ذلك كله».

قال ابن رجب[2]: «قوله ﷺ: (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)؛ يعني: أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه؛ فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة؛ فعرفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفه إليه في الرخاء؛ فنجاه من

(١) انظر «فيض القدير» (٣/ ٢٥١).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ١٧٨).

الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له وإجابته لدعائه.

فمعرفة العبد لربه نوعان:

أحدهما: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به، والتصديق والإيمان، وهي عامة للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون» ا. هـ.

وفي «الصحيحين»[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال:

«بَينَمَا ثَلاَثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبلَكُم إذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ، فَانْطَبَقَ عَلَيهِم، فَقَالَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ: إنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُم إلَّا الصِّدقُ؛ فَلْيَدْعُ كُلُّ

---

(١) وهذا لفظ البخاري (٦/٥٠٥ ـ ٥٠٦ ـ فتح).

رَجُلٍ مِنْكُم بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيه، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُم: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تعلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلى فَرَقٍ مِنْ أُرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمرِهِ أَنِّي اشْتَرَيتُ مِنهُ بَقَراً، وأنَّهُ أَتَانِي يَطلُبُ أَجرَهُ، فَقُلتُ لَهُ: اعْمَدْ إِلَى تِلْكَ البَقَر فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أُرُزٍّ. فَقُلْتُ لَهُ: اعْمَدْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الفَرَقِ، فَسَاقَهَا. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِك مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاخَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ.

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيخَانِ كَبِيرَانِ، وكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبطَأْتُ عَنهُمَا لَيلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الجُوعِ، وَكُنْتُ لاَ أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَا لِشَرْبَتِهِمَا(١)، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ.

---

(١) أي: يَضْعَفا.

فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاخَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ.

فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتِ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وتَرَكْتُ المِئَةَ الدِّينَارَ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُم فَخَرَجُوا».

وفي رواية[1] عن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ أن المرأة: «تَرَدَّدَتْ إِلَيهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَطْلُبُ مِنْهُ شَيئاً مِنْ مَعْرُوفِهِ وَيَأْبَى عَلَيهَا إِلَّا أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَأَجَابَتْ فِي الثَّالِثَةِ بَعْدَ أَنِ اسْتَأْذَنَتْ زَوْجَهَا، فَأَذِنَ لَهَا وقَالَ لَهَا: أَغْنِي

---

(١) وهي عند الطبراني؛ ذكرها الحافظ في «الفتح» (٦/٥٠٩)، وحسنها؛ انظر (٦/٥٠٦ و٥١٠).

عِيَالَكِ. قَالَ: فَرَجَعَتْ فَنَاشَدَتْنِي بِاللَّهِ فَأَبَيتُ عَلَيهَا، فَأَسْلَمَتْ إِلَيَّ نَفْسَهَا، فَلَمَّا كَشَفْتُهَا ارْتَعَدَتْ مِنْ تَحْتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكِ؟ قَالَتْ: أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ. فَقُلتُ: خِفْتِيهِ فِي الشِّدَةِ وَلَمْ أَخَفْهُ فِي الرَّخَاءِ، فَتَرَكْتُهَا».

قال الألباني[1]: «يتضح من هذا الحديث أن هؤلاء الرجال المؤمنين الثلاثة حينما اشتد بهم الكرب، وضاق بهم الأمر، ويئسوا من أن يأتيهم الفرج من كل طريق إلا طريق الله تبارك وتعالى وحده؛ لجؤوا إليه، ودعوه بإخلاص، واستذكروا أعمالاً لهم صالحة؛ كانوا تعرفوا فيها إلى الله في أوقات الرخاء؛ راجين أن يتعرف إليهم ربهم مقابلها في أوقات الشدة».

***

---

(١) «التوسل» (ص ٣٥).

التوكل على الله

ومن أعظم الأسباب في كشف الكرب وقضاء الحوائج: التوكل على الله عز وجل؛ فإنه سبحانه وتعالى يكفي من توكل عليه؛ كما قال تبارك اسمه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق: ٣].

قال السعدي(١): «﴿ومن يتوكل على الله﴾ في أمر دينه ودنياه؛ بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فهو حسبه﴾؛ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه فيه». ا. هـ.

وقال تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤ و٤٥].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/ ٢٦٢).

قال الشنقيطي[1]: «قولـه تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿**وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيئات ما مكروا**﴾ دليل واضح على أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه؛ سبب للحفظ والوقاية من كل سوء، وقد تقرر في الأصول: أن الفاء من حروف التعليل؛ كقولهم: سها فسجد؛ أي: سجد لعلة سهوه. وسرق فقطعت يده؛ أي: لعلة سرقته.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة؛ من كون التوكل على الله سبباً للحفظ والوقاية من السوء؛ جاء مبيناً في آيات أُخر».

قال: «والظاهر أن «ما» في قوله: ﴿**سيئات ما مكروا**﴾ مصدرية؛ أي: فوقاه الله سيئات مكرهم وشدائده، والمكر: الكيد».

قال: «فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن فرعون

---

(١) انظر «أضواء البيان» (٧/ ٨٩ ـ ٩٠).

وقـومـه أرادوا أن يمكروا بهذا المؤمن الكريم وأن الله ﴿وقاه﴾ ؛ أي : حفظه ونجاه من أضرار مكرهم وشدائده بسبب توكله على الله وتفويضه أمره إليه» .

* * *

الصبر وانتظار الفرج

ومما يخفف وطأة الكرب: الصبر عليه وانتظار الفرج، فما من كرب إلا ومعه فرج، وما من عسر إلا ومعه يسر؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح: ٥ و٦].

وقال رسول الله ﷺ: «النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، والفَرَجُ مَعَ الكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً»[١].

قال ابن القيم[٢]: «الصبر إذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوباً، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته؛ فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عبودية في السراء، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عبودية فيما

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (رقم ٢٣٨٢).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٦).

يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره؛ ففيه تفاوُت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى».

وقال ابن رجب[1]: «ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر؛ أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين؛ تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله.

وأيضاً فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة؛ فرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أُتيتُ من قِبَلِكِ، ولو كان فيك خير لأُجِبتُ. وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات؛ فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس أهلاً لإجابة الدعاء؛ فلذلك تسرع إليه حينئذٍ إجابة الدعاء وتفريج

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ١٨٧).

الكرب». ا. هـ.

وأحسن من قال:

مِفْتَاحُ بَابِ الفَرَجِ الصَّبرُ
وكُلُّ عُسرٍ مَعَهُ يُسرُ

وقال آخر:

إذَا تَضَايَقَ أمرٌ فَانْتَظِر فَرَجاً
فَأَصعَبُ الأمرِ أدنَاهُ مِنَ الفَرَجِ

وقال آخر:

يا صَاحِبَ الهَمِّ إنَّ الهَمَّ مُنقَطِعٌ
لَا تيأَسَنَّ كَأَنْ قَد فَرَّجَ اللَّهُ

وقال آخر:

وإنْ تَضَايَقَ بَابٌ عَنْكَ مُنْبَلِجٌ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ بَاباً غَيرَ مُنبَلِجِ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأسَ الصَّبرِ مُعتَصِمٌ
بِاللَّهِ إلَّا أتَاهُ اللَّهُ بِالفَرَجِ

وقال آخر:

إِذَا مَا تَوَالَـتْ شِدَّةٌ فَاصْـطَبِـرْ لَهَـا
فَخَيرُ سِلَاحِ المَـرءِ في الشِّـدَّةِ الصَّبرُ

وإِنِّـي لَأَسـتَحْـيِي مِنَ الـلَّهِ أَنْ أُرَى
إِلَـى غَيرِهِ أَشكُـو وَإِنْ مَسَّنِي الضُّـرُّ

عَسَـى فَرَجٌ يَأتِـي بِهِ الـلَّهُ إِنَّـهُ
لَهُ كُلَّ يَومٍ في خَلِيقَـتِـهِ أَمـرُ

وقال آخر[1]:

تَصَـبَّـرْ إِنَّ عُقـبَـى الصَّـبـرِ خَيرٌ
وَلَا تَجـزَعْ لِنَـائِبَـةٍ تَنُـوبُ

فَإِنَّ الـيُسـرَ بَعـدَ الـعُسـرِ يَأتِـي
وَعِنـدَ الـضِّيقِ تَنْفَـرِجُ الكُـرُوبُ

وَكَـمْ جَزَعَـتْ نُفُـوسٌ مِن أُمُـورٍ
أَتَـى مِنْ دُونِـهَـا فَرَجٌ قَرِيبُ

---

(١) هذه الأبيات وما قبلها عن «مختصر الفرج بعد الشدة» للسيوطي (ص ٤١ و٨٥ و٨٨ و٩٠).

الجهاد في سبيل الله

ومن أعظم أسباب ذهاب الهم والغم: الجهاد في سبيل الله تعالى.

قال ابن أبي عاصم في «كتاب الجهاد»[1]: حدثنا مُحْرِز بن سَلَمة العَدَني؛ قال: حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن بن عباس، عن أبيه، عن سليمان الأشدق (وهو ابن موسى)، عن مكحول، عن أبي سلام، عن أبي أمامة الباهلي، عن عبادة بن الصامت؛ قال: قال رسول الله ﷺ:

«عَلَيْكُمْ بِالجِهَادِ في سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يُذْهِبُ اللَّهُ بِهِ الغَمَّ والهَمَّ».

قال ابن القيم في «الهدي»[2]: «وأما تأثير الجهاد

---

(١) الحديث (رقم ٧)، وهو صحيح لطرقه؛ انظر «السلسلة الصحيحة» الحديث (رقم ١٩٤١).

(٢) (٤/ ٢١٠).

في دفع الهم والغم فأمر معلوم بالوجدان؛ فإن النفس متى تركت صائل الباطل وصولته واستيلاءه؛ اشتد همُّها وغمُّها وكربها وخوفها، فإذا جاهدته لله أبدل الله ذلك الهمَّ والحُزنَ فرحاً ونشاطاً وقوةً؛ كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤ و١٥]. فلا شيء أذهب لجوى القلب وهمه وغمه من الجهاد، والله المستعان».

* * *

التوبة والاستغفار

ومن أهم الأمور الموجبة لذهاب الهم والغم وتفريج الكرب: التوبة والاستغفار.

وذلك أن الذنوب مجلبة للهم والغم والحزن والخوف، وما تسببه من ذلك لا يقارب لذة الشهوة، وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيدِيكُم وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

قال ابن القيم(١): «قلة التوفيق، وفساد الرأي، وخفاء الحق، وفساد القلب، وخمول الذكر، وإضاعة الوقت، ونَفْرَة الخلق، والوحشة بين العبد وبين ربه، ومنع إجابة الدعاء، وقسوة القلب، ومَحْق البركة في الرزق والعمر، وحرمان العلم، ولباس الذل، وإهانة العدو، وضيق الصدر، والابتلاء بقرناء السوء الذين يفسدون القلب ويضيعون الوقت، وطول الهم والغم،

---

(١) «الفوائد» (ص ٤٧).

وضنك المعيشة، وكَسف البال. . . تتولد من المعصية والغفلة عن ذكر الله؛ كما يتولد الزرع عن الماء، والإحراق عن النار، وأضداد هذه تتولد عن الطاعة». ا. هـ.

والتوبة إلى الله عز وجل هي طريق الخلاص من شر الذنوب وعواقبها، وسبيل النجاة من ظلمة همومها وغمومها، وضيق قيودها وآصارها، وقد قال العزيز الحكيم، الرؤوف الرحيم: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٣].

قال السعدي[١]: «﴿وأن استغفروا ربكم﴾ عن ما صدر منكم من الذنوب، ﴿ثم توبوا إليه﴾ فيما تستقبلون من أعماركم؛ بالرجوع إليه بالإنابة، والرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٢/ ٣٥٢).

ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾؛ أي: يعطكم من رزقه ما تتمتعون به وتنتفعون. ﴿إلى أجل مسمى﴾؛ أي: إلى وقت وفاتكم. ﴿ويؤت﴾ منكم ﴿كل ذي فضل فضله﴾؛ أي: يعط أهل الإحسان والبر من فضله وبره ما هو جزاء لإحسانهم؛ من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهون». ا. هـ.

وقال الله تعالى على لسان نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

قال ابن القيم(١): «أما تأثير الاستغفار في دفع الهم والغم والضيق؛ فلِما اشترك في العلم به أهل الملل

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٢٠٨ - ٢٠٩).

وعقلاء كل أمة؛ أن المعاصي والفساد تُوجب الهم والغم والخوف والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب؛ حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارهم، وسئمتها نفوسهم؛ ارتكبوها دفعاً لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم؛ كما قال شيخ الفسوق[1]:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلى لَذَّةٍ
وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب؛ فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار».

وقال في «بدائع الفوائد»[2]: «ليس للعبد إذا بُغِيَ عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح، وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على

---

(١) هو الأعشى ميمون بن قيس، وهو في «ديوانه» (ص ١٢١).

(٢) (٢/٢٤٢).

نفســه وذنوبه وعيوبه؛ فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها؛ فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به؛ بل يتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتولى نُصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد، فما أسعده من عبد! وما أبركها من نازلة نزلت به! وما أحسن أثرها عليه! ولكن التوفيق والرشد بيد الله؛ لا مانــع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فما كل أحد يوفق لهذا؛ لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله». ا. هـ.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

وكتب

محمد شومان

❋ ❋ ❋

الفهرس

* * *

التنضيد والمونتاج

دار الحسن للنشر والتوزيع

هاتف ٦٤٨٩٧٥ = فاكس ٦٤٨٩٧٥ = ص.ب ١٨٢٧٤٢

عمان ١٨ ١١١ = الأردن